مثل العَبد عَديم الشَّفَقة (متّى 18: 23-25)

- **الفهرس**

مدخل

سبعين مرّةً سبعَ مرّات

ملكوت السّمَوات يُشبِه مَلِكًا

المَلِك وَالمَديون

مُحاسبة المَلِك لِعبيده

تحَنُّن المَلِك

تصرُّف العَبد المديون تُجاه صديقه

جثا وطلبَ إمهاله وقتًا

ردّة فعل المَلِك

هكذا يَفعل بكُم أبي السّماويّ

الخاتمة

المدخل

- ينطلق مثل العبد عديم الشفقة، من سؤالٍ مُوَجّه مِن بطرس إلى الربّ يسوع المسيح، سؤال استيضاحيّ عن عدد مرّات غُفران الأخ لأخيه، ليأتيه جوابٌ لم يكُن يتوقّعه بتاتًا: "لا سبعَ مرّات، بل سبعين مرّةً سبعَ مرّات" (آ22).
- بعد ذلك يَدخُل السيّد المسيح في المَثل، ويوضِح المعنى الحقيقيّ لِكلماتِه الّتي يصعب فهمها على غير المؤمنين، كما يؤكّد أنَّ المُسامَحة والغُفران غير محصورَين بِعَدَدٍ، بَل علينا أنْ نكون سَموحين بصورة دائِمة.

سبعين مرّةً سبعَ مرّات

- إنَّ العدد (7) يدُلّ على الرّاحة: "وفي اليومِ السّابِع استراحَ الربُّ مِن كُلِّ أعمالِه" (تكوين 2:2)؛ كما أنَّ جوابّ السيّد المسيح: "لا سبعَ مرّات، بل سبعين مرّة سبع مرّات"، جاءَ بِهَدف لحظِ الإنسان لِتصرّفاته ومراجعتها، مراجعة غضبِه وردّات الفِعل التي يقومُ بِها وَتُسيء له، وتُبعِدُه عنِ الهُدوءِ والرّاحة والطمأنينة، فَتُدخِلُه بدوّامةِ الخَطيئة.

- كما يُعيدنا العدد (7) إلى حادِثَةِ قَتل قايين لشقيقه هابيل: "لذلِكَ كُلُّ مَن قَتلَ قايين فسبعةَ أضعافٍ يُنتَقَمْ منه" (تك 8:4)، كما قالَ في الإصحاح نفسه: "إنّهُ ينتَقِم لِقايين سبعةَ أضعافٍ، وأمّا لِلامكَ (لامك هوَ مِن نسلِ قايين) فَسبعةً وسبعين (تك 24:4)، علمًا أنَّ الأعداد في المَثل الإنجيليّ جاءت لا لِتَدُلَّ على الإنتقام، بل على المُسامَحة.
- بدءًا، عاقبَ الربّ قايين على فِعلَته وقالَ له: "فَالآنَ ملعونٌ أنتَ مِنَ الأرضِ الّتي فتحَتْ فاها لِتقبَلَ دمَ أخيكَ مِن يَدِكَ. مَتى عَمِلتَ الأرضَ لا تعودُ تُعطيكَ قُوَّتَها، تائِهًا وَهارِبًا تكونُ في الأرض" (تك12:4).

- هُنا شعرَ قايين بِالذَنب واعترف بما قام به: "ذَنبي أعظمُ مِن أنْ يُحتَمَل" (تك4:13)، فأشفقَ الربَّ عليه بعد اعترافِه بما فَعل وأعطاه الربّ علامةً كي لا تمشي شريعة الإنتقام: "جعلَ الربّ لقايين علامةً لِكَي لا يَقتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجدَهُ (تك4:15).
- إذًا، اعتراف البَشَر بِخطاياهُم ومُسامحتُهم إخوتَهم شيء أساسيّ وضروريّ، ولا يُمكن تحديد المُسامَحة بعَدَدِ المرّات، فَكَم بالَحريّ مُسامَحة الله للبشَر العائِدينَ إليه؟

تك: تكوين

ملكوت السَّمَوات يُشبِه مَلِكًا

- بعدَ جواب السيِّد المسيح لبُطرُس عَن عَددِ مرّات الغُفران، أعطاه مثلاً لِيوضِح لهُ الأُمور أكثر: "فَملكوت السَّمَوات يُشبِه إنسانًا ملِكًا أرادَ أنْ يُحاسِبَ عَبيده" (آ23). المَلكوت يُشبِه إنسانًا ملِكًا، وليسَ أيَّ إنسان، ما يدلّ على الربّ يسوع لأنّهُ هو ملك السَّمَوات والمَلَكوت، بمعنى أنَّ مَن له الملكوت لهُ الربّ يسوع.

المَلِك وَالمَديون

- أرادَ المَلِك مُحاسبةَ عبيده، وعبيد المَلِك يكونونَ عادَةً من الأشخاص القريبينَ مِنهُ والوُزراء، ويكونون مؤتَمنين على المُمتلكات؛ ونرى ذلِكَ في مَثل الوَزنات (متّى 14:24)، عِندَما جمعَ المَلِك خَدَمهُ وَسلَّمَهُم أموالَه.
- "فَجيءَ إليهِ بواحِدٍ مِنَ العبيد عليهِ عَشرةُ آلافِ وزنةٍ" (آ24). الفعل جيءَ يعني أنَّ الرَّجُلَ كانَ مَطروحًا في السِّجنِ وَقد أُوتيَ بهِ لِيَمثُلَ أمام المَلِك لِيُقاضيه ويَستَرِدّ منه دينهُ البالِغ عَشرةَ آلاف دِرهَم مِنَ الفضّة؛ والدِّرهَم كانَ يُساوي 30 كلغ مِنَ الفضّة أو عشرة آلافِ دينار، ما مَعناه أنَّ القيمة كبيرة جدًا، وأُجرةَ العامِل اليوميّة كانتَ دينارًا واحِدًا تقريبًا.

- إذًا، لا يُمكِن أن يكونَ هذا العبدَ عامِلاً عاديًّا، بل مِنَ المُرَجّح أنّهُ كان حاكِمًا لإحدى مُقاطعات المَملَكة، ومَبلغ عشرةَ آلافٍ هو أكبر ضريبة يُمكِن تجميعها خلال سنة كامِلة.

مُحاسبة المَلِك لِعبيده

- بعدما جيء بِالعبد لِيَمثُلَ أمام المِلك، وطلبَ مِنه الملكُ إيفاءَ الدَّين المُتوَجِّب عليه، ارتبكَ لأنّهُ لم يكُن يملك أيّة قيمة مِن مبلغ مديونيّتِه، فما كان مِنَ المِلك إلّا أن طلبَ أن يُباعَ هُوَ وامرأته وأولاده وكُلّ ما يملُك مِن أملاك منقولة وغير منقولة لحين إيفائه الدَّين.

- في الشَّرع اليهوديّ لَم يكُن يُسمَح ببيع أي شخص يهوديّ، إلّا عندما يسرق شيئًا ولا يستطيع إعادَته. كما كانَ يُمنَع منعًا باتًّا بيع المرأة، وآخر ما يُمكِن بَيعه هو الأولاد. كما أنَّ قيمة العَبد لم تكُن تُساوي إلّا جزءًا بسيطًا مِنَ الدَّين، ما يعني أنَّ هذا الرَّجُل يُمكِن أن يكون مِنَ الوَثنيّين، وأنَّ فِكرة البيع التي طَرحها المَلِك ما هيَ إلّا تعبيرٌ عن غَضَبِه.

تحَنُّن المَلِك

- عِندما سَمع المَديون بما يُريد أن يقوم به المَلك، لَم يَستطع تَقبُّل الفِكرَة، فجثا على رُكبَتيه وطلبَ مهلة وتعهَّد له بإيفاء الدَّين، مع أنَّ ذلك شبه مُستَحيل لِضخامَتِه. لكنَّ الملِك، بِمَحبَّتِه، تجاوزَ كلّ شيء، وتحنَّنَ على العبد، فأعفاه وَحرَّرَه مِن كامِل دينه.

- في هذه الصّورة يُمكِن اعتبار المَلِك المسيحَ ابنَ الله الّذي تجسَّدَ لِيحرِّرنا مِن خطايانا، وسدَّدَ عنّا كُلَّ دَينٍ بِمَوتِه على الصّليب. فقد ذَكر القدّيس بولس في الإصحاح الثامِن مِن رسالته إلى كولوسّي: "شاكرينَ الله الآب الّذي جعلَنا أهلاً للشَّركة في إرثِ القدّيسينَ مع النّور، الّذي أنقذنا مِن سُلطانِ الظُّلمَةِ ونَقلَنا إلى ملكوتِ ابنِ محبّتِه، الّذي لنا فيه الفِداءُ، أيْ مَغفِرَةُ الخطايا (كول8: 12-14).

تصرُّف العَبد المديون تُجاه صديقه

- بعدما أعفى المَلِك العَبدَ المَديون من مبلغ كبير جدًا، خرجَ المديون مِن جلسة المُحاسَبة، فَوجدَ عبدًا مِن رُفقائه، مَدينًا لهُ بمئةِ دينار (آ28). وهنا كانت المُفارَقة فقد أتى تصرُّفُ المَديون مُعاكِسًا لِتصرُّف المَلك: "أمسكهُ وأخذَ بِعُنقِه يَخنقهُ" (آ28).
- هذه الطّريقة كانت مُتّبعَة مِن قِبَل الدّائِن تجاه المَديون لِمَنعِه مِن الهروب، وفي حال عدم تسديد الدّين المُتوَجّب، يَرمي الدّائِنُ المَديونَ في السِّجن لحين تسديد ما عليه.

جثا وطلبَ إمهاله وقتًا

- نُلاحِظ، في المثل، أنَّ المَديون بِمئة دينار قام بالعمل نفسه الّذي قامَ بِهِ المَديون بعشرة الآف دينار (جثا على رُكبتيه، طلب مهلة)؛ لكنَّ العبدَ المُعفى منهُ لمْ يتصرَّف بِمحبَّة مع المَديون لهُ، علمًا أنَّ المئة دينار يُعتبَر مبلغًا زهيدًا جدًّا ويُمكِن تسديده، عكس مبلَغ العَشرةَ آلاف. مع هذا لَم يقبَل بإعطائِه أيّة مُهلة، بل، طرَحه في السّجن لحين إيفائه الدَّين؛ مع مُفارَقة وحيدة أنّهُ لم يعرضهُ للبيع لأنَّ المبلغ أقلّ مِن سعر العبد الّذي يتراوَح بين خمسمائة دينار وألفين.
- نرى هُنا وَجهين مُتناقِضين تمامًا: مِن جهة، مَلكٌ مُحبّ ومُسامِح، ومِن جهّةٍ ثانية عبدٌ عَديم الإنسانيّة والشّفقة.

رَدّة فِعل المَلِك

- هذا التصرُّف الجاحِد والعديم الإنسانيّة مِنَ العبدِ تجاهَ صديقه أدهشَ رفقاءَه ولم يحتملوا التصرُّف، فذهبوا وأخبروا سيِّدَهم بِكلّ ما جرى (آ31). حينها غضب المِلك ولم يحتمل ما سَمِعَ أو رأى من تصرُّف العبد، فناداه على عَجل، لكن، هذه المرّة، بطريقةٍ مُختَلِفة تمامًا. لم يسمح لهُ بالكلام، بل قال له: "أيُها العبد الشرّير"، عاتَبهُ ووبَّخه بقساوةٍ، وَدفعهُ على الفور إلى المُعَذِّبين حتى إيفائه الدَّين.
- وكما هوَ معلوم فإنَّ هذا العبدَ لا يستطيع تسديد أيّ من دَينه، ما يعني أنَّه سيبقى مسجونًا نتيجة فِعلَته وعَدم رَحمَتِه، وهوَ مَن حكَمَ على نفسِهِ بالعذابِ إلى ما لا نِهاية، إلى العَذاب الأبديّ.

هكذا يَفعل بِكُم أبي السّماويّ

- يُنهي السيّد المسيح المَثَل بِخُلاصةٍ هامّة جدًّا، "هكذا أبي السّماويّ يصنعُ بِكم" (آ35). يُعيدنا السيّد المسيح بِكلامه هذا إلى الصَّلاة الرَّبانية: "واترُك لنا ما علينا كما نترُك نحن لمن لنا عليه" (متّى 12:6). فالله، بِمحبتِه، يترُك لِكلِّ واحدٍ القرار بِما سيفعله، وكيفَ يسلُك، ولا يفرِض علينا شيئًا.

- الربّ يُبادِر دائمًا، هو واقِف على الباب يقرَع وينتظِر أن نفتح له. هوَ الغَفور والرّحوم، إنمّا كُلّ شيء يتوقّف على إرادَتنا وتجاوبنا معه، وعلينا التشبّه بهِ. وكُلّ إنسانٍ عليهِ مُراجعة نفسِه وإدانَتها على خطاياه، ومُسامحةُ الآخَرين مُسامَحةً صادقة، قلبيّة، لا شفويّة.

الخاتمة

- ليسَ هذا المَثل وغيره مِنَ الأمثال الموجودة في الكِتاب المُقدّس مُجرَّد قِصص أو رِوايات، بل هيَ رَسائِل مُوَجّهة وهادِفة أعطاها الربّ يسوع، وعلينا أن نتلقّفها كما لو كُتِبت اليوم. فكلام المسيح هوَ هوَ، أمس واليوم: "السّماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول" (مرقس 31:13).

- كلّ إنسان يُريد أن يكون صالِحًا عليه أن يسلُك الدربّ الّذي وضعَهُ الربّ أمامنا. قَد نُخطِئُ ونَتعثَّر أحيانًا، لكن لا نيأسنَّ لأنّنا واثقون أنَّ الربّ معنا، وأنَّ تأديبه لِلخلاص وليس للإنتقام، ومِنَ الطبيعيّ أنَّه يقبل تَوبتنا ويُسامِحُنا ويَغفِر لنا من دونَ حُدود. فإنْ غفرنا لِمن أساء وأخطأ إلينا يغفِر لنا أبونا السماويّ زلّاتنا.

المراجع

- "الكتاب المقدّس: قِراءة رِعائيّة"، جمعيّة الكتاب المقدّس، الإصدار الأوَّل، الطبعة الثانية 2012.
- نجم، الأب الدُكتور ميشال، نقلهُ من اللّغات الأصليّة، بالإشتراك مع فريق مِنَ الناقِلين وَالمُحَرِّرين: التفسيرُ المسيحيّ القَديم للكِتاب المُقدَّس، العَهدُ الجَديد 1- ب الإنجيل كما دوَّنَهُ متّى 14-28، منشورات جامعة البَلمند.
- بندلي، كوستي: دِراسات كتابيّة 1 – أمثال الملكوت، منشورات النّور 1983.
- دير مار مخائيل- بسكنتا، أناجيل الآحاد – العنصرة، منشورات النّور 1995.